

اللغة وأزمة التأويل في الفكر الغربي المعاصر

The Language and the crisis of interprétation in contemporary Western thought

مخبر دراسات الفكر الإسلامي في الجزائر
جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس-
(الجزائر)
جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس
(الجزائر)

فلسفة غربية
معاصرة

رافع بلال * Rafa Billal

Billal.rafa@univ-sba.dz

بن طرات جلول bentrat djelloul

djbentrat@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/05/05

تاريخ القبول: 2022/11/26

تاريخ الإرسال: 2021/09/18

ملخص: تقاليد الهرمينوطيقا باعتبارها منهج في قراءه النصوص وتفسيرها هي تقاليد عريقة ثابتة الأسس والأركان، كانت بدايتها مع اليونان مروراً بفلاسفة العصور الوسطى إلى الفترة الحديثة والمعاصرة، والسؤال بينها وبين اللغة التي أصبحت قضية مركزية في القرن العشرين كان ولا زال سؤال غامضاً ملتبساً انجر عنه اختلاف المواقف الفلسفية التي انصرف الفلاسفة إلى الكشف عن مناهج ساعدت بشكل واسع في فهم النصوص وكذا الخطاب الفلسفي. فهدغر في أعماله المبكرة ربطها بمشروعه الفلسفي وقدم وصفا للفهم في سياق الظاهراتية الجديدة التي بدأت مع هسرل. ثم غادامير واتجاه الهرمينوطيقا الفلسفية الذي يعتبر أكثر التيارات الفلسفية المعاصرة تأثراً بفلسفة هيدغر. فإننا سنحاول من خلال هذه الدراسة أن نبحث عن علاقة التأويل كونه شكلاً من الفهم تتراوح أبعاده بين جدلية اتجاه المؤلف وقصد النص، وعن مدى مساهمة اللغة كوسيط بينهما لفك الجدل الحاصل.

الكلمات المفتاحية: اللغة؛ التأويل؛ الهرمينوطيقا؛ التفسير؛ الفهم.

Abstract: The hermeneutics traditions as a method in reading and interpreting texts are ancient traditions that are stable basis and pillars, which started with Greece through medieval philosophers to modern and contemporary times. The question between it and the language became a central issue in the twentieth century and remain an ambiguous question, resulted in the different philosophical attitudes that call philosophers to reveal methods, which have widely helped to understand texts as well as philosophical discourse. Martin Heidegger linked it in his first work to his philosophical project, and described

* المؤلف المُرسل: bilalrafa1993@gmail.com

understanding in the context of the new phenomena that began with Edmund Husserl, and then Gadamer, as well as to the philosophical hermeneutic direction, which is the most influenced by contemporary philosophical trends influenced by Heidegger. We are attempting to look for an interpretation relationship as a form of understanding, ranging from the author dialectic to the text's intent, then how much language has contributed as an intermediary between them to dispel the controversy.

Keywords: the language; interpretation; hermeneutics; explanation; understanding.

مقدمة:

استقر في عقول المفكرين وخصوصا المنشغلين بالحقل اللغوي دراسة العلاقة بين اللغة والتأويل، فالدراسات الفلسفية أصبحت تهتم أكثر بالتأويلية "herméneutique" التي تعتبر من الفلسفات اللغوية البارزة في الفترة المعاصرة، وكذا الاهتمام بالمكانة التي تلعبها اللغة في فلسفة التأويل وفي الفكر المعاصر. هذا التركيز على اللغة لم يأت من العدم كون اللغة في حد ذاتها أهمية بالغة، لذلك استفاد الفلاسفة من بعض المناهج في محاولة فهمها وتفسيرها لما كانت له من حاجة الى ذلك. فساهموا بدورهم في البحث عن أساليب معاصرة في فهم وتفسير اللغة وتجلياتها وابداع مناهج جديدة التي كان لها نصيب فعال في تطوير هذه الوسيلة (اللغة) التي تعبر عن فكر الانسان وابداعه العلمي والفلسفي.

وعليه سنعمل في هذا المقال على ابراز معالم اللغة وعلاقتها مع الفلسفة التأويلية، من خلال تقديم فكرة عامة عن اللغة وكذا الهيرومينوطيقا وتعدد تياراتها منذ اليونان الى الفترة الحديثة والمعاصرة. هذه النبذة التاريخية مع افكارها تجسد لنا رؤى الإشكالية التي نحن بصدد معالجتها والمتمثلة في اللغة وأزمة التأويل في الفكر الغربي المعاصر، مع العلم ان التأويلية فلسفة تأثرت بتجارب فلسفية موازية وحتى ثقافية، تاريخية حصلت في أوروبا ومن بينها إرساء معالم الفلسفة الظواهرية الهسرية، وظهور الفلسفة التحليلية والفلسفات الامريكية، أيضا تطور اللسانيات المعاصرة التي اعطتها سندا وركيزة كبيرتين ودفعة قوية.

- فكيف أسست الهيرومينوطيقا للاستراتيجية التأويل في الفكر الغربي المعاصر؟ وأين تظهر تجليات التجربة اللغوية في الهيرومينوطيقا الغربية؟

جينياولوجيا المفهوم (اللغة والتأويل)

الحديث عن الحضور الجينياولوجي والتاريخي بالنسبة للمفاهيم في المعرفة بشكل عام وفي الفلسفة بشكل خاص أصبح مهما وهو حقيقة لا يمكن تجاوزها، فتتبع الآثار والسياقات التي انجبت لنا الأفكار وانتجت ضروري خصوصا في الأبحاث والدراسات الفلسفية النظرية، وبهذا فللغة والتأويل مفهومان لا بد من تتبع مسارهما التاريخي الذي كان منذ البدايات الأولى للفكر الفلسفي، باعتباره مرتبطان بالإنسان وفكره ووعيه وثقافته، وأولا سنحاول أن نبحث في مفهوم اللغة والنظريات الفلسفية التي أسست لها. إن اللغة في حد ذاتها تعبر عن إنسانية الإنسان، فهي ليست نقاش أو كلام أو تواصل أو تعبيرات لفظية وإنما هي أكثر من ذلك هي وسيلة لإخراج ماهية الأشياء والتعرف عليها، أو كما يرى هايدغر "تنطق الوجود" (توفيق، سعيد، 2015، 114)، بمعنى تعطي الأشياء وجودا وماهية من خلال إضفاء عليها تسميات.

واللغة مع ما تملكه من أهمية كانت محط اقبال الدراسات الأدبية والفلسفية منذ فجر التاريخ فجعلها فقهاء اللغة والفلاسفة واللسانيين وسيلة لنشر مبتغاهم واثارهم الفكرية.

المعروف عن تطور اللغة ومفهومها في تاريخ الفكر الغربي بدايته كانت مع فلاسفة اليونان، حيث عالجوا قضية الكلمة "Ōnuma" والشيء وعلاقتها وحصرها الكلمة في الاسم "الشيء" فقط، أي العلاقة بين اللفظ ومعناه.

في محاورته على لسان أستاذه سقراط والمعنونة بـ "كراتيل" «cratylus» يرى بأن اللغة والكلمات تعود في أصلها إلى الطبيعة، وأنها محاكاة للأشياء تعبر عن وجودها وأصلها وفيها إشارة إلى علاقة اللغة بالطبيعة وبالواقع أو كما يقول أفلاطون "هي تفكير صامت وهي حوار الروح مع ذاتها، والكلمة «logos» هي التيار الذي يتدفق من هذا الفكر وينطق عبر الفم" (غادامير، ج، 2011، 531).

بالانتقال إلى أوروبا في العصور الوسطى التي لم تشهد تقدما كبيرا في الدراسات اللغوية، وما فعله العلماء هو تعليم اللغة اللاتينية وتنظيم قواعد النحو فيها ونجد اختلافا واضحا بالحديث عن الفكر المسيحي في دراسة قضية اللغة وكذا اختلاف في المناهج، فكتابات آباء الكنيسة في الفترة المدرسية كانت موجهة للاهوت ليبينوا فكرة

الخلق وكانت اللغة هنا بمثابة معجزة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالثالوث (السعران، م، 2007، 324).

إن الفلسفة في الحقبة المعاصرة توجهت بشكل خاص نحو الدراسات اللغوية واللسانية، بل وأصبحت فلسفة لغة بجدارية، هذا لا يعني أن الفلسفة لم تهتم باللغة من قبل وإنما المدارس الفكرية ومناهج البحث لاسيما مع الفلسفة التحليلية والوضعية المنطقية وكثير من الفلسفات الأخرى وفلاسفة أمثال: برتراند راسل وفنجشتين وهيدغر هذا الأخير اعطى للغة صفة انطولوجية مرتبطة بالفكر.

يقول فريديناند دوسوسير: "إن وجهة النظر هي التي تبعد المادة" (العياشي، م، 1996، 176)، فالمناهج التي استخدمها دوسوسير في تحليلاته جعلت اللسانيات المعاصرة تستقل كعلم قائم بنفسه "علم اللسانيات-علم الدلالة"، وبه ارتقى التفكير اللغوي الى مستوى العلم، فمعلوم ان اللسانيات التاريخية قبله كانت قائمة على دراسة الوقائع اللغوية، أما الاتجاهات المعاصرة خصوصا مع هذا الفيلسوف واللغوي نجد انه قد حول الدراسة من وقائع الى أفكار ومواضيع نظرية.

هذا بالنسبة لتاريخ مفهوم اللغة، فماذا عن تاريخ مفهوم التأويلية؟

لو بحثنا عن مفهوم التأويلية لوجدنا أن جذور مصطلح "الهيرمينوطيقا" Hermeneutic ترجع الى الفعل اليوناني hermeneuein الذي يترجم عادة بالفعل يفسر interpretation ومنه الاسم hermeneia او التفسير interpretation ويبدو ان البحث في أصل هاتين الكلمتين، والاتجاهات الأساسية الثلاثة في تفسير معناها كما جاءت في الاستخدام (اليوناني) لها يفيد كمقدمة لفهم "الهيرمينوطيقا" بمعناها الحديث". (عبد السلام علي جعفر، ص، 2000، 23)

التأويلية « hermeneutic » ترتبط في أصلها بهرمس « hermes » الرسول والإله اليوناني الذي يلم بلغة آلهة أولمب ويعمل على ترجمتها للبشر من خلال درايتته بمفرداتهم ولغتهم وفهمها ومن ثمة يؤول الرسائل الموجهة إليهم والمنقولة من طرف الآلهة (حامد، خ، 2014، 13)، فتاريخيا بالعودة الى الأسطورة، هرمس بما انه رسول آلهة أولمب الذين يتزعمهم زيوس كما جاء في قصائد الشعر لهوميروس من إلياذة وأوديسا، فمن ادواره هو نقل الرسائل من كبير الآلهة زيوس الى العامة من البشر لكن هذه اللغة والعبارات المنقولة لا يستطيع البشر فهمها لأنها كانت تمتاز بالتعقيد، وما على ناقل الرسالة هرمس الا تأويلها وتفسيرها.

"الهيرمنوطيقا في الأصل اليوناني Hermeneutiké تعني فن التأويل أو علم التأويل وبعبارة أدق تعني فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم والكشف عن حقائق الأشياء كما يذهب إلى ذلك شلايرماخر" (بولشعير، ع، 2011، 17).

من كل ما سبق نرى أن الهيرمنوطيقا كفلسفة وكمنهج وكفن توضح معاني النصوص وتكشف عن غموضها، وهكذا هي المدرسة الفلسفية التي من مهامها دراسة قواعد فهم النصوص اللغوية والدينية والأدبية، الفلسفية، ثم العلوم الإنسانية ككل أي النصوص الدنيوية وتفسيرها للقارئ.

يدعونا الحديث بعد التعرف على مفهوم الهيرمينوطيقا إلى التعرض لمسارها التاريخي وأصولها الأولى ومبادئها إذ أرجع بعض المؤرخين منبعا إلى جهود اليونان والأوائل في الميثولوجيا الإغريقية مع هوميروس التي قال عنها بأنها لا تفهم مباشرة، ومن جهة أخرى يذهب جورج غوسدروف G. Gusdorf إلى القول بأن المدرسة التأويلية بدأت في الإسكندرية، وعادت فيما بعد في فترة النهضة بعد ازدهار البروتستانتية، وازدهرت في عصر الأنوار (بولشعير، ع، 2011، 17).

لقد ورد مصطلح التأويل عند "أرسطو" «Aristote» وأعطى جزئه الثاني من الأورغانون اسم (في التأويل «Per Hermeneias» (قارة، ن، 1998، 7)، وفي هذه الرسالة "يعرفه بأنه "إقرار" أو "إعلان" «énonciation» قد يومئ هذا التعريف إلى الاتجاه الأول للمعنى (يقول أو يعلن) غير أن المتعمق في النص لن يخفى عليه الاتجاه الثاني أيضا. فالهيرمينوطيقا عند أرسطو تشير إلى العمل الذي يقوم به الذهن إذ يقع العبارات التي تتصل بصدق شيء ما أو بكذبه . التأويل بهذا المعنى هو العملية الأولية للفكر إذ يصوغ حكم صادق عن شيء ما" (مصطفى، ع، 2018، 27).

في العصر الوسيط اهتم التأويل بتفسير النصوص الدينية المقدسة والمقصود بها نصوص الإنجيل المسيحي الذي فهمه كان مستعصيا نتيجة حمله الكثير من المعاني والقراءات ومن بين الذين حملوا النزعة التأويلية في العصور الوسطى القديس أغسطين:

تقتصر رؤية أوغسطين (354-430) التأويلية على تفسير الكتاب المقدس ويعتبر أوغسطين من أشهر هيرمينوطيقي الكنيسة المسيحية الأولى وقراءها، لأنه طور نظاما معقدا من القراءة الرمزية إلى القراءة التي عرضها في كتاب (الاعترافات)، إذ قدم تفسيراً

مفصلاً للفصل الأول من سفر التكوين" كما طور قراءة متعددة للنص الديني وغيره القراءة متعددة فلا يوجد نص منحصر بمعنى واحد محاولة منه حل النزاع والجدل الهرمينوطيقي الحاصل بين مدرستي الإسكندرية وإنطاكية ففي رسالته (حول العقيدة المسيحية) قدم مبادئ واضحة للتمييز بين التفسيرين من خلال نظرية الإشارات التي دعا فيها إلى الحذر في التعامل مع لغة النص وبنيته النحوية من أجل منع أي استنتاجات غريبة لا أساس لها (قارة، ن، 1998، 7).

في عصر النهضة الأوروبية والتي تبعها الأنوار الذي حاول تصحيح نقائص المجتمع الأوروبي التي عاشها في عصور الظلام وان تغيروا أخلاقيات وأساليب الحياة بانتشار الخير والعدالة والمساواة والثقة بالعقل والوعي الذي يلعبان دوراً كبيراً في تطوير المجتمع ومع ظهور الإصلاح الديني البروتستانتي في القرن 16 في ألمانيا بعد السيطرة التي كانت تقوم بها الكنيسة وكذا التطور العلمي الذي شهدته أوروبا في عصر النهضة أدى إلى إعطاء بعد آخر للحركة التأويلية إذ تجسدت في مناقشات ومناظرات وتغير في الفهم وأساليب القراءة وكيفية التعامل مع النصوص الأدبية والتاريخية والفلسفية وليس فقط الدينية والإصلاح الديني البروتستانتي ظهر على يد رجل الدين والمحاضر الجامعي الألماني مارتن لوتر (1483-1536) الذي حاول أن يكتب نسخة موحدة للإنجيل وهدفه منها أن المؤمن والرجل المسيحي بإمكانه أن يفهم الإنجيل بطريقته الخاصة وبكل حرية وأصر لوتر على أن الإنجيل هو المعيار والمرجع النهائي للتقليد الديني والذي يفهم فقط من خلال المعنى الظاهر والمباشر للنص (جاسبر، د، 2007، 86) وبذلك خالف تقاليد آباء الكنيسة الذين تبنوا القراءة الرمزية المعقدة والغامضة ودعا كما قلنا سابقاً إلى التعامل مع النص المقدس بحرية.

في العصر الحديث تغير مفهوم التأويلية وأصبحت أشمل ذلك لأن منهج التأويل اتبع في دراسته للنصوص الدينية إلى الإحاطة بمختلف أنواع النصوص الأدبية والفلسفية والقانونية. التأويلية انتقلت من دراسة النصوص الدينية إلى دراسة الظواهر الإنسانية. ومن بين المساهمين في هذه النقلة النوعية مجموعة من الفلاسفة ومن بينهم فريدريك شلايرماخر وفلهلم دلتاي:

يعد أبو الهرمينوطيكا الحديثة الألماني فريدريك شلايرماخر 1768-1834 من بين الذين حولوا مسار الهرمينوطيكا من تأويل الخطاب إلى مستوى تحليل الفهم حيث يبرز فيها التأمل والممارسة ليصل إلى تأويل محكم ومشروع تبرز فيه مشروعية عامة لها

قواعد بارزة وحدود ووسائل وهو ماطور الهيرمينوطيقا الى علم، والهيرمينوطيقا لدى شلايرماخر لها ميزة نسقية تنطلق من مفاهيم واضحة وهي الفهم والخطاب واللغة ومنطلقها كما يسميها ظاهرة سوء الفهم *la mécompréhension* وبالتالي التأويلية عنده هي فن تجنب سوء الفهم الذي لا يكون الا عبر اللغة والالتزام بها، اذ ان سوء الفهم ناتج عن تقدم النصوص المراد تفسيرها وتأويلها في الزمن وتصير أقرب من اللافهم منها الى الفهم (حساين دواجي، 2020، 59)

أما في أواخر القرن 19 حاول المؤرخ والفيلسوف فلهلم دلتاي «w.dilthey» (1833-1911) أن يجعل الهيرمينوطيقا تهتم بالعلوم الإنسانية أو كما سماها العلوم الروحية، وأسس لها منهج للوصول الى فهم أكثر وإلى تأويلات صائبة وبذلك تدخل الهيرمينوطيقا نفقا جديدا يزداد فيها المنهج وضوحا ودقة، فميز بين العلوم الطبيعية وكان رد فعله تجاهها حاد لأن العلوم الإنسانية تأثرت بطرقها ومناهجها وتطبيقها في مجال الانسان، وبين العلوم الروحية التي تهتم بحياة الانسان والحياة نفسها وهي ما يجب أن ينبع منه تفكيرنا (بومهدي، 2019، 86)

اللغة وأزمة المنهج:

اللغة كوسيط للتجربة الهيرمينوطيقية عند شلايرماخر ودلتاي:

بالعودة إلى الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر مع أبرز رواد الفلسفة التأويلية، نجد أن الاختلاف والمشكل الحاصل بين الفلاسفة هو مشكل منهج ورؤية، واللغة هنا هي عبارة عن وسيط لحل هذا النزاع.

إن مسألة اللغة والتأويل يكتنفها بعض الغموض خصوصا في أنهما حقيقتان ليسا متباعدتان، ولذلك يمكن القول مباشرة، أن هذا الإشكال يمكن حله بالإشارة إلى أفكار رواد الفلسفة الألمانية مثل: شلايرماخر (Schleiermacher) وفلهلم دلتاي (w. Dilthey) وهيدغر (Martin Heidegger) وهانز جورج غادامير (H.G.Gadamer) الذين بدراساتهم الفلسفية في هذا المجال حاولوا التأسيس للهيرمينوطيقا بواسطة اللغة والفهم.

إن قضية اللغة كأداة للتواصل تحتل مكانة كبيرة في الدراسات الحديثة والمعاصرة، وتشغل مكانة كبيرة في المناقشات الفكرية، حتى الفيزيائيين على حد تعبير "محمد شوقي الزين" أشاروا إلى أهمية اللغة كقاعدة لكل اتفاق وتعاقد وبواسطة ترتبط بالأشياء وبالعالم ونقرب منهما والتأويل في حد ذاته مرتبط باللغة خصوصا في الفلسفة المعاصرة

التي صارت فيها إمكانية القراءة المتعددة للنص وتغير الفهم من معنى إلى آخر (شوقي الزين، م، 2006، 135-136)

شلايرماخر بمحاولاته جعل من الهرمينوطيقا عامة وذلك من خلال نقلها من الاهتمام بالنصوص الدينية وانطباقها على كل النصوص بدون استثناء وقد قسم التفسيرات إلى جزئين من خلالهما فصل بين مجالي اللغة والفكر فأما اللغة فيهتم بها التفسير القواعدي اللغوي الذي يعتمد على اللغة في حد ذاتها ويتطلب احاطة بها وفحصا ألسنيا ونحويا لبنية النصوص وينظر إلى اللغة اعتبارها وسيلة المؤلف في التعبير عن فكره. أما الفكر فقد ربطه بالتفسير النفسي السيكلوجي الذي ينطوي على التفاعل الحاصل بين القارئ والنص بالعودة إلى الدوافع الفكرية التي جعلت صاحب النص يكتب نصه وكذا الحوافز والتجارب النفسية الذاتية، والتفاعل الحاصل بين التفسيرين والمحددات الذي يضع فيه المؤول بصمته يصنع الخبرة العقلية لمؤلف النص ويوضحها (مصطفى، ع، 2018، 59)

ولكن كيف تساهم اللغة في التأويل وبالتالي في الفهم؟ يرى شلايرماخر أن اللغة تحدد للمؤلف طرق التعبير الذي يسلكها للإفصاح عن فكره. فهي تخرج الفكر من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، وتنقله مما هو ذاتي إلى ماهو موضوعي، هذا الوجود الموضوعي هو الذي يجعل عملية الفهم ممكنة، فبقدر التوظيف الكبير للغة واستعمالاتها الرمزية والدلالية مع التغيير والتعديل في معطياتها التعبيرية بالطبع، بقدر ما تكون عملية الفهم ممكنة أكثر، فالجانب اللغوي يساهم في عملية البناء التاريخي الموضوعي للنص، وهي عملية يطلق عليها شلايرماخر اسم Objective Hestorical Reconstruction التي تعبر المعرفة المتضمنة في النص نتاجا للغة (حامد أبو زيد، ن، 2014، 21)، يعني تأويلية شلايرماخر تعتبر النص وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ، وبذلك هناك علاقة جدلية بين الجانبين، فالجانب اللغوي يشير إلى اللغة بكاملها، والجانب النفسي يشير إلى الفكر الذاتي لمبدعه، ويجب على المفسر الاعتماد على الجانبين للوصول إلى معنى النص، يعتمد على الموهبة اللغوية والقدرة على النفاذ إلى الطبيعة البشرية.

والحق أن دلتاي وضع منهجا يتناسب وقضايا الانسان، وكذا ملائمة هذا النسق لفهم التعبير الإنساني في جوانبه الاجتماعية والنفسية والفنية بحكم أن منهج علوم المادة الجامدة لا يتلاءم مع علوم الروح ولا يفي بالغرض لفهم الحياة الداخلية وتجارب

الانسان وخبراته خصوصا ما يتعلق بالوعي أو الحياة الشعورية والمعارف الباطنية والإرادة، فاتجاه العلوم الإنسانية لا ينبغي أن يرتبط بأمور خارجها وإنما اهتمامها يجب أن ينحصر في الحياة الداخلية الذاتية وطاقاتها ولكن كيف نفهم الحياة الداخلية والتجارب الذاتية؟

يتم ذلك فيما يراه دلتاي من خلال عملية التعبير، سواء كان سلوكا اجتماعيا أو نص مكتوب، فالتعبير يعطي للتجربة موضوعيتها، ويحولها من حالة ذاتية -تجربة داخلية معاشة- إلى حالة خارجية موضوعية، هذه النظرة وهذا التحديد الموضوعي للتجربة هو ما يؤسس لدى دلتاي موضوعية العلوم الاجتماعية والإنسانية، والتعبير الموضوعي يأخذ أرقى أشكاله في الفن والادب، لأنه يعبر عن التجارب الداخلية لحياة المبدع، التي تتجاوز إطار ذاتيتها، وذلك لأنها تتجسد من خلال أداة موضوعية هي اللغة (حامد أبو زيد، ن، 2014، 26)، فاللغة في سياقها العملي مهمتها الربط بين الفهم والتأويل، لأن فهم الآخر وتجاربه الداخلية يستند إلى ما تزيله اللغة من إبهام بواسطة الرموز أو الكلام أو الكتابة، وبالرغم من ذلك نجد أن ما نسب إلى دلتاي أنه لم يطرح بوضوح العلاقة بين إشكالية الفهم وإشكالية اللغة، وأنه أكد على وجوب النظر والاهتمام بالمظهر الباطني وبالحياة الداخلية للمؤلف، بحيث يصبح منهج دلتاي يرد المسائل الفكرية وتأويلاتها إلى مطلقاتها النفسية، بل على العكس فإن دلتاي فهم أن كل تجربة معيشة تهيكّل من طرف مجموعات رمزية (قارة، ن، 1998، 53)

يتضح مما سبق، أن دلتاي عمم الهرمينوطيقا على العلوم الإنسانية من خلال تمييزه بين التفسير الذي يرتبط بمجال علوم الطبيعة والتأويل والفهم الذي يرتبط بمجال العلوم الإنسانية التي أسس لها منهجا جعل منها ثابتة ودائمة وموضوعية، وركز بذلك على دور المفسر في عملية الفهم، ويعد هذا من أكبر الاسهامات التي قام بها في مجال الدراسات الإنسانية.

المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا واللغة كبعد جديد للتأويل عند هيدغر:

لقد حاول هيدغر إعطاء نظرة أو قراءة جديدة تتلائم مع الطابع التأويلي للقرن العشرين تختلف عن النظرة الشاملة التي امتاز بها وتناسبت مع شلايرماخر ودلتاي، وقد اعتبر ذلك بمثابة تحول نوعي، هذا الاختلاف عبارة عن تغيير في المبادئ والمنهاج وهو تحول كفي مرتبط بالفينومينولوجيا التي ساهمت في تطوير التأويلية وحتى

الظواهرية أظهرت الجميل للهيرمينوطيقا، والظاهرة التي ينبغي على الفينومينولوجيا دراستها هي الظاهرة الموجودة الواضحة، فكيف سيتناول هيدغر مسألة اللغة وعلاقتها بالهيرمينوطيقا في ظل تشبعه بفكر الظواهرية؟

لاشك أن هيدغر حاول في فلسفته الربط بين اللغة والوجود والهيرمينوطيقا وهنا عمل على تغيير نظرة الفلسفة التقليدية للغة والخطاب وصلتهما بالفكر، إذ محاولته ارتبطت بشدة بمسألة فهم اللغة وماهيتها من حيث أنها كيان، وفي ظل التيارات اللغوية السائدة في القرن العشرين والمناهج الدارسة لها ولخبرتها أراد هيدغر القيام بعملية تحليل للغة وتشريحها، مما ساهم بشكل كبير واثر بالغ في التأسيس لنظرية تبحث في فلسفة اللغة وتؤسس لماهيتها وعلاقتها بالفكر والوجود نفسه، وتأثيره امتد الى فلسفات وقرءات أخرى لفلاسفة بعده مثل: غادامير وبول ريكور وجاك دريدا.

وفيما يخص هيرمينوطيقا هيدغر التي تعرف بـ: الهرمينوطيقا الفينومينولوجية "الظاهراتية"، هي أكثر من مجرد بحث فرعي داخل الحقل الذي أسسه هسرل، ونجد أنها تختلف اختلافا جذريا عن سابقتها، ونستطيع القول أن هيدغر قلب الموازين، لأن التفسير فيها مرتبط بماهية أو بمعنى ظواهر الوجود الإنساني كالشعر والفن، والاختلاف ظاهر في مصطلح الدازاين الذي أوجده على الهيرمينوطيقا، فحول التأويلية من بحثها الابستمولوجي إلى كونها فلسفة انطولوجية تبحث في الوجود، ونقلها من جانبها المعرفي إلى جانبها الانطولوجي، والطريق إلى فهم معناها يكون من خلال فهم ماهية اللغة ذاتها. (توفيق، س، 2007، 109)

من هذا المنطلق نفهم أن ظواهرية هسرل وأفاقها أسست كثيرا لوجودية تلميذه هيدغر الذي أكمل بدوره مهمة الكشف عن فلسفته الخاصة، وبالتالي مهمته لعبت فيها اللغة دورا كبيرا، إنها الوسيلة لفهم الوجود والكينونة بحيث أن ما يظهر في الفلسفة الظواهرية يحتاج إلى إيضاح لأن بها غموض، هنا هيدغر يحل هذه المشكلة بالرجوع إلى التأويلية، على أن نفهمها بوصفها تأويلا للوجود، والظاهراتية هنا تتخذ معنى تأويليا. (غرادان، ج، 2017، 39)، وهكذا يتبين ان هذه المنظومة المتشكلة من الفينومينولوجيا، الانطولوجيا، الهيرمينوطيقا، بينها تقاطعات حاول هيدغر التقريب بينها أكثر، وجعلها متضامنة بحيث لا تقوم الواحدة الا بوجود الأخريات، ويستحيل تفكير أحدهم بمعزل عن المصطلحين الآخرين

من ناحية أخرى الحديث عن هيرمينوطيقا النص عند هيدغر يدعونا إلى الحديث واستحضار مفهوم الوجود في التأويل، فللكينونة مستويين من الحضور، الأول يشير إلى أن الأشياء في الكون لا قيمة لها إلا من خلال الوجود الإنساني، ومن ناحية ثانية فإن فهم الكون إلا لغاية إنسانية، والفهم يقوم على اللغة التي تكشف الانسان داخل الوجود وعلى العلامات الرموز التي تتم العملية التأويلية بكاملها وبذلك لا يمكن الفصل بين اللغة والانسان والوجود.(بن عياد،م،2012،152)، بصيغة أخرى كي نفهم العالم الخارجي وأهم ظاهرة فيه وهي الكائن، وللتعرف عليه لابد أن نفككه ونشرحه لتتعرف على بنيته الداخلية ومعانيه، ولا يكون ذلك إلا بواسطة اللغة وهي الوسيلة والأداة لفهم هذا الكائن.

إن هيدغر اهتم بمسألة اللغة، خصوصا في كتابه الكينونة والزمان، ونظرتة اليها تختلف كلياً عن التصور التقليدي الذي كان يحمله علم اللسانيات وفلسفة التحليل، هذا التصور كان يدرس اللغة على أساس بحث نظري دون البحث في بنيتها الداخلية العميقة لرموزها وتعرية كلماتها للحصول على المعنى الداخلي الدقيق. وهو ما سماه هيدغر ب "تأطير اللغة" بمعنى التصور الذي يقوم على منطقة اللغة أي "صياغتها منطقياً". وهيدغر هنا دعانا الى التحرر حينما نفكر في اللغة او نتعامل معها من هذه الرؤية التقليدية أي تحرير اللغة من المنطق، والفهم اللغوي وبنية الكلمات فيما يراه هو الأساس الذي يقوم عليه فهم النص،، "وهو ما أسماه هيدغر في "الوجود والزمان" بعملية "تأطير" اللغة (GE-stell(en-framing) او التفكير الاحصائي التمثلي للغة وهو التصور الذي يدعونا هيدغر الى التحرر منها حينما نفكر في اللغة أي نتعامل معها" (سعيد،ت،2015،11)، وبذلك فهم ماهية اللغة هو الأساس الذي ركز عليه هيدغر، ومن خلالها تفهم النصوص خصوصا الأدبية والشعرية، لان اللغة تحفظ طبيعة النصوص وتؤسس لاكتشاف حقيقتها وكشف وجودها، وان كل فن هو في النهاية نوعا من أنواع اللغة، لعل هذا الذي جعل النص عند هيدغر مفتحا يفصح عن نفسه بالرغم من تعدد تراكيبه اللغوية، وفي الوقت نفسه الكلمات بدورها تسمي الأشياء والموجودات جميعا، ولغة النص تكشف وجوده وغموضه الذي يكتنفه داخل لغة النص ذاته.

فاللغة هي شرط أساسي للوجود، ودليل قاطع على أن الإنسان يملك عالما، يميز منهجيا بين كل أنواع وأشكال الوجود، ثم أن قوة ودور اللغة لا يتوقف على التعيين والوصف الخارجي وإنما يتجاوز ذلك إلى الكشف والتمييز والفصل بين الظواهر، هذا العالم بظواهره يفهم ويفسر عن طريق المفهمة *La conceptualisation* والرموز، فيصبح إذن كلا متجاوزا لا يتجزأ (بن عياد، م، 2012، 154).

وبالنسبة إلى الفهم بالنسبة لهيدغر هو شيء نكونه لأنه مرتبط بالوجود الإنساني، وهو شكل من أشكال "الوجود في العالم"، لذلك غير التصورات السابقة، وأصبحت رؤيته فينومينولوجية هيرمينوطيقية تحاول تأويلا للإنسان والوجود الخارجي، فيصبح الفهم هو قدرة المرء على إدراك إمكانات وجوده ضمن سياق العالم، والفهم ليس شيئا يمتلكه بل هو شيء نكونه. "الفهم شكل من أشكال الوجود في العالم، أو عنصر مكون من عناصر "الوجود في العالم"، الفهم هو الأساس لكل تفسير، وهو متأصل ومصاحب لوجود المرء وقائم في كل فعل من أفعال التأويل" (مصطفى، ع، 2018، 127)، وهنا تتضح لنا العلاقة بين الهيرمينوطيقا والفينومينولوجيا، فالظواهر التي نهتم بدراستها هي معطيات تحتل التأويل، وأن ممارسة الهيرمينوطيقا يعني أن الظواهر ذاتها تندرج ضمن إطار التأويل.

هيرمينوطيقا النص عند غادامير:

التفسير، الفهم، الحوار أفاق هيرمينوطيقا غادامير:

انطلاقا من موقف شلايرماخر حول عملية الفهم التي أسسها على قائمتين نفسية المؤلف ولغة النص، مرورا بدلتاي الذي ربط الأساس المنهجي بالعلوم الإنسانية وخاصة علم التاريخ، جاء غادامير وتحدث على قضية محورية متعلقة بإمكانية ارتباط الحقيقة بالمنهج، فالهيرمينوطيقين قبله أسسوا لمنهج يرتقي بعلوم الروح إلى الدقة لكنهم لم يفلحوا، وهذا ما اعترض عليه غادامير مؤكدا أن الغاية ليس فهم نفسية الكاتب أو المؤلف، لأنه من المحال أن نفهم النصوص من خلال تاريخ المؤلف وحياته وحالاته النفسية إنما من خلال فهم لغة النص ومعانيها التي تعتبر شريكا في إنتاج النصوص وكذا تعبر عن الكينونة الانسانية. إن أبرز أفكار هيدغر كانت متطلعا أساسيا لهرمينوطيقا لغادامير الذي يعد عمله استمرارا لمجهود استاذده، لكن التأويل عند غادامير أخذ منحى جديد فصار مغايرا لتصوير هيدغر خاصة في مسألة اللغة.

إن الحديث عن مشكلة التأويل عند غادامير يحيلنا مباشرة الى الحديث عن اللغة، والنص والقارئ، لوجود علاقة متينة بينهم، واللغة هنا تلعب دورا جادا في فهم النصوص، ولهذا عدت عوائق التعبير اللغوي عوائق للفهم، لان كل فهم تأويل، فالممارسة التأويلية وموقفه من اللغة وعلاقتها مع التأويل مرتبط بثلاثة مفاهيم أساسية هي: التفسير والفهم والحوار، ولما لهذه المفاهيم أهمية كبيرة، فاجتماعها معا يشكل عملية التأويل، "فالهيرمينوطيقا بما أنها اتجاه في تفسير النص، فإن التفسير بشكل عام مرتبط بالفهم، وهذا يعني ان التفسير يتطلب الفهم وعليه الفهم لا ينطبق واقعا الا من خلال الحوار، اللذان يقتضيان التواصل مع الاخر والتكلم والحديث معه ولا يكون ذلك الا بواسطة اللغة وذلك للوصول الى أكبر قدر من الاتفاق. وعليه الهيرمينوطيقا لا تقوم الا من خلال اللغة التي تعبر عن وجود الإنسان" (بولشعير، ع، 2011، 125).

تأسيسا على ما سبق فغادامير جاء بمفهوم إنصهار الأفق الذي يعني به أن أي عملية فهم تبنى على الهيرمينوطيقا وأن لا تنحصر في أفق ماضي النص وتاريخ كتابته بل هي حوار أساسه اللغة بين آفاق المؤول الحاضرة وآفاق ماضي النص ولا يتم الحوار إلا بعد انصهار الأفق بين الماضي والحاضر حتى يتحقق فهم مختلف، فلا تأويل ولا فهم بدون لغة نتواصل بها مع الاخر.

خاتمة:

ختاما يمكننا القول أن تقاليد الهيرمينوطيقا، باعتبارها منهج في قراءة النصوص وتفسيرها، هي تقاليد عريقة ثابتة الأسس والأركان، بدايتها كانت مع اليونان في الغرب، وتركزت فيما بعد على تفسير النصوص الدينية المقدسة في أواخر الفترة الكلاسيكية مع القديس اغسطين، وفي عصر النهضة ازدادت أهمية التأويل وخصوصا مع حركة الإصلاح الديني مع مارتن لوتر، وازدادت موضوعية وعلمية في القرن 19 عندما أولت العلوم الإنسانية الروحية بأنواعها التاريخية والاجتماعية بتطبيق مناهج العلوم الطبيعية. وقد كانت الهيرمينوطيقا تركز على النص فأصبحت في القرن 20 مرتبطة بفلسفة المعنى وفلسفة اللغة، وأسس الفلاسفة التأويليون للهيرمينوطيقا عن طريق مناهج حديثة، فهايدغر في أعماله المبكرة ربطها الى حد ما بمشروعه الفلسفي الأساسي لتقديم وصف للفهم في سياق الظاهرية الجديدة التي بدأت مع ادموند هسرل.

إن رهان اللغة والتأويل كشف لنا عن مناهج ساعدت بشكل واسع في فهم النصوص بشتى أنواعها وكذا الخطاب الفلسفي، الذي أخذ فيه الفهم بعدا فلسفيا انطولوجيا، والذي يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمؤول والمفسر، ومنه يمكن القول أن فلسفة التأويل تشكل تيارا أساسيا في الفلسفة المعاصرة شارك فيه العديد من كبار الفلاسفة في القرن العشرين وحتى في وقتنا الراهن.

ولا شك أن التأويل قد أصبح مطلبا ملحا في حياتنا الفكرية المعاصرة بسبب التباعد بين ثقافة الماضي والحاضر، والصراع بين الثقافات وعليه من يضطلع بمهمة التأويل لابد ان يكون متسلحا بمعرفة واسعة في مجال العوم الإنسانية المعاصرة: كعلوم اللغة والتاريخ فضلا عن الفلسفة بالدرجة الأولى.

المصادر والمراجع

1. جان غرادان. (2007). المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا (الطبعة 1). ترجمة وتقديم: عمر محبيل. بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
2. خالد حامد. (2014). عصر الهرمينوطيقا أبحاث في التأويل (الطبعة 1). بغداد، بيروت: منشورات الجمل.
3. دافيد جاسبر. (2007). مقدمة في الهرمينوطيقا، تر: وجيه قانصو (الطبعة 1). بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم الناشرون.
4. سعيد توفيق. (2005) في ماهية اللغة وفلسفة التأويل. (الطبعة الأولى). القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
5. صفاء عبد السلام علي جعفر. (2000) هيرمينوطيقا (تفسير) "الأصل في العمل الفني" دراسة في الانطولوجيا المعاصرة. الإسكندرية: منشأة المعارف.
6. عادل مصطفى. (2007). فهم الفهم مدخل الى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير (الطبعة 1). المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.
7. عبد العزيز بولشعير. (2011). غادامير من فهم الوجود الى فهم الفهم (الطبعة 1). بيروت: منشورات الاختلاف.
8. حمد بن عياد. (2012). في المناهج التأويلية. التفسير الفني بصفاقس (الطبعة 1).
9. حمد شوقي الزين. (2015). تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر (الطبعة الأولى). منشورات الضفاف.
10. حمود السعران، (2007). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت.
11. منذر العياشي. (1996). اللسانيات والدلالة. (الطبعة الأولى). حلب: مركز الالتاء الحضاري.
12. نبيهة قارة. (1998). الفلسفة والتأويل (الطبعة الأولى). بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
13. نصر حامد أبو زيد. (2014). إشكاليات القراءة وآليات التأويل (الطبعة الأولى). الدار البيضاء-المغرب.
14. هانز جورج غادامير. (2007). الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح. راجعه عن الألمانية جورج كنوز (الطبعة الأولى). دار أوبا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية.

مقالات المجلات

1. زينب بومهدي. (2019). الهرمينوطيقا والتشكل المعرفي: قراءة في تطور المفهوم من دائرة المقدس إلى دائرة العلوم الإنسانية. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية. (4). 72-90.
2. حساين المواجي غالي. (2020). الهرمينوطيقا: الدلالة الجذر التاريخي وتطور المفهوم. مجلة أبعاد. (2). 39-61.